

من بين العلامات الفارقة الأخرى في تاريخ الفنون والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة إنشاء المجمع الثقافي في أبو ظبي في 1981 في مبنى من تصميم الدكتور هشام أشكري من شركة Collaborative (تعود جذور هذا المبنى إلى عام 1973) وانطلاق بينالي الشارقة في 1993 ومجموعة أبو ظبي للموسيقى والفنون في 1996. وبالرغم من أن هذه المؤسسات كانت مسؤولة في البداية عن اجتذاب كبار الفنانين سواء من المنطقة أو العالم لعرض أعمالهم في دولة الإمارات العربية المتحدة، إلا أنها كانت أيضاً جسوراً هامة للتواصل الثقافي والدبلوماسية الثقافية، وأقدم البعض منها على تنظيم معارض وفعاليات دولية.

في 2007، بدأت دولة الإمارات العربية المتحدة في تنفيذ خطة رائدة: حيث ستكون أول دولة خليجية تشارك في بينالي البندقية وهو الملتقى الفني ذو الشهرة الواسعة والذي انطلق في 1895 وزاره أكثر من 500,000 زائر في 2015. مشاركة دولة الإمارات العربية المتحدة في بينالي البندقية في 2009 - ويشار إليه اختصاراً بـ «لا بينالي» - كانت تطوراً هاماً ونقطة تحول في مسيرة الدبلوماسية الثقافية للدولة. وفي إشارة لمدى الأهمية والتقدير الذي تحظى به مشاركة الدولة في بينالي البندقية، حَصَرَ سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان، وزير الخارجية، افتتاح المهرجان. ولعل ما يعكس الفترات الزمنية آنذاك، فإن أول مشاركة لدولة الإمارات العربية المتحدة تضمنت تمثيلاً مزدوجاً أحدهما من وزارة الثقافة، والأخرى من هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة). ولكن تمت معالجة هذا الوضع، ويتولى تمثيل الدولة منذ 2011 جهة واحدة فقط.

وكانت هذه المشاركة بمبادرة من وزارة الخارجية والدكتورة لميس حمدان، وهي خريجة الكلية الملكية للجراحين ومقيمة في دبي، وحصلت الدكتورة لميس حمدان على وسام نجمة التضامن الإيطالي من الرئيس الإيطالي تقديراً لجهودها. وواصلت الدكتورة لميس مسيرتها لتتولى مهام المفوضة المسؤولة عن جناح الإمارات في البندقية لثلاث دورات متتالية. وحذت دول خليجية أخرى حذو دولة الإمارات العربية المتحدة من خلال إنشاء أجنحة لها في البندقية، ومنها البحرين في 2010 (والتي فازت بجائزة الأسد الذهبي في بينالي البندقية للعمارة) والمملكة العربية السعودية في 2011. بحلول عام 2013، نجحت دولة الإمارات العربية المتحدة في تاجير جناح لمدة 20 عاماً في ناحية ترسانة البندقية Arsenale من بينالي بعد الجهود التي بذلتها وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع ومؤسسة سلامة بنت حمدان آل نهيان، ومن ثمَّ ضمان التمثيل الدائم للدولة خلال هذه الفترة.

ومنذ البداية كانت مشاركة الدولة في هذا الملتقى الدولي ظاهرةً شاملةً للجميع تعكس طبيعة الإمارات التي تحتضن مختلف الجنسيات. ففي مشاركة 2009، عُرضت أعمال الفنان الكويتي من أصول فلسطينية، طارق الغصين، بجوار أعمال الفنانتين الإماراتيتين لمياء قرقاش وابتسام عبد العزيز. وكان الجناح من إعداد وتقديم القيم الفني ترداد زولغادر مع



سلطان سعود القاسمي
كاتب إماراتي ومؤسس مؤسسة بارجيل
للفنون بالشارقة

في هذه النسخة من التأملات الدبلوماسية، يستعرض سلطان سعود القاسمي مساهمة الفنون الإماراتية في الدبلوماسية الثقافية والقوة الناعمة لدولة الإمارات العربية المتحدة

«أسمعهم يقولون إن» دولة الإمارات العربية المتحدة هي أسبرطة المنطقة» ولا أتفق معهم تماماً في هذا القول» بحسب ما قاله لي مسؤول إماراتي رفيع المستوى، ويضيف «أرى أن دولة الإمارات العربية المتحدة هي أيضاً أثينا العالم العربي». إن ما كان يميز المدينة الإغريقية القديمة هو استثمارها في الثقافة، وفن العمارة، والتعليم، والمسرح، علاوة على تجربتها في غرس جذور الديمقراطية. في هذا الوقت الذي نتحدث فيه، تتماثل أبو ظبي ودولة الإمارات العربية المتحدة مع أثينا في كل هذه الجوانب باستثناء البنية السياسية. في حَقِيقَةِ الأمر، فإن دولة الإمارات العربية المتحدة قد خطت في مجال الثقافة خطوةً أبعد من ذلك؛ فلم تقتصر جهودها على الاستثمار الداخلي فيها ولكن انخرطت في ذلك على الصعيد الدولي أيضاً منذ السنوات الأولى لتأسيس الدولة.

الفنانون الإماراتيون ومنهم عبد القادر الريس والذي شارك بجهود فردية في الفعاليات الفنية الإقليمية ومنها المعرض الفني «للمرسم الحر» في الكويت في أواخر الستينات والدورة الثانية لمعرض ترينالي في نيودلهي بالهند في 1971. وكذلك من بين المبادرات الفردية الرائدة الأخرى مشاركة الفنانة فاطمة لوتاه في عام 1984 في ميلانو وفيرونا في إيطاليا، ومشاركة الفنان حسن الشريف في معرض بينالي القاهرة الدولي للفنون 1988.

ولم يطرأ تغيير على الجهود الفردية إلا بعد إنشاء جمعية الإمارات للفنون التشكيلية في الشارقة في 1980، حيث بدأ تضافر الجهود لتمثيل الفنون الإماراتية كجهد جماعي. وبعد المشاركة في سلسلة من المعارض الفنية في مدن المنطقة ومنها بغداد في 1982 والكويت في 1983، خطت جمعية الإمارات للفنون التشكيلية أول خطوةً بعيدةً بالمشاركة في المعرض الذي انعقد في قاعة اتحاد الفنانين «السوفييت» - موسكو. وشهد المعرض حضور الدبلوماسي الإماراتي أحمد الميل والذي كان يشغل آنذاك منصب القائم بأعمال سفارة الإمارات في موسكو، وكان هذا الحضور مؤشراً على الأهمية التي توليها حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة لهذه المبادرات وذلك منذ ثلاثة عقود تقريباً.

في 2012، استضاف متحف الشارقة للفنون ما قد يُعتبر أول معرض من نوعه للفن الحديث ينطلق من العالم العربي إلى الغرب. حيث كان معرض «إبراهيم الصلحي: حداتي حالم A Visionary Modernist» معرضاً منفرداً لهذا الفنان الرائد على الساحتين السودانية والأفريقية من تنظيم مؤسسة الشارقة للفنون، والذي عُرض فيما بعد في متحف تيت مدرن في لندن، مما يجعله أول معرض منفرد من نوعه لفنان أفريقي في مؤسسة بريطانية وحضره أكثر من 33,000 زائر.

مشاركة دولة الإمارات العربية المتحدة في
بينالي البندقية في 2009 - ويُشار إليه اختصاراً بـ
«لا بينالي» - كانت تطوراً هاماً ونقطة تحول في
مسيرة الدبلوماسية الثقافية للدولة.

أحد المعارض الأخرى التي انطلقت من دولة الإمارات العربية المتحدة إلى العالم هو معرض إسلامبوليتان والذي يجسد الحوار بين الإسلام وفن التصميم المستوحى منه. وانطلق معرض إسلامبوليتان الذي نظمته مركز ماريما للفنون ومقره الشارقة إلى ست مناطق بما فيها الملتقى المرموق لـ «أسبوع التصميم الهولندي» في 2016، والمشاركة في افتتاح معرض أكسبو ميلانو 2015. في 2006، قدمت دبي القابضة الدعم لمعرض رائد في المتحف البريطاني بعنوان فن الكلمة والذي تناول قضايا الهوية والسياسة من خلال أعمال فنية مستوحاة من فن الخط. ونجح المعرض نجاحاً كبيراً حيث حضره أكثر من 87,000 زائر ثم عُرض لاحقاً في مركز دبي المالي العالمي.

على مدار السنوات القليلة الماضية، أدرجت دولة الإمارات العربية المتحدة أهمية القوة الناعمة لتكون معادلاً لما تشتهر به الدولة كـ «أسبرطة الصغرى» في القوة الصلبة. ولهذا، أطلقت الدولة شبكات إعلامية منها سكاى نيوز العربية، واستضافت مكتباً دولياً لشبكة سي إن إن، وأضفت الانسيابية على برامج المعونات الخارجية والتي كانت متناثرة في فترة من الفترات، وأعطت طابعاً خاصاً لمدنها، وتطقت العديد من الفعاليات الرياضية، وقامت برعاية أندية رياضية على الساحة الدولية. كما استثمرت في الفنون والتعليم ومنها إنشاء متحف اللوفر-أبو ظبي، وجامعة نيويورك-أبو ظبي، وفتحت آفاقاً أرحب للدبلوماسية الخارجية من خلال إنشاء العديد من السفارات الجديدة وإبرام اتفاقات مع عدد متنامٍ من الدول لدخول حاملي جوازات السفر الإماراتية بدون تأشيرات. وبلا جدال تسهم المبادرات العديدة للدبلوماسية الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة والتي تنظمها الدولة وغيرها من الجهات غير الرسمية في الرؤية الرامية لاعتبار الدولة «أثينا العالم العربي».

مساهمات من الكاتب البريطاني شومون بسار. وفي مشاركة الإمارات لعام 2017 في لا بينالي، شارك في الجناح الإماراتي الفنانون فيكرام ديفيتشا، ولانتيان شيه، وسارة الحداد بجانب الفنانين الإماراتيين مما يعكس التنوع الثقافي الذي يتميز به المجتمع الإماراتي.

بالإضافة إلى ما سبق، أخذت عدد من المؤسسات الخاصة وشبه الحكومية على عاتقها مهمة نشر وإثراء الثقافة ليس من دولة الإمارات العربية المتحدة وحسب ولكن من المنطقة أيضاً، مما يُضيف بُعداً جديداً لأهداف السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة. على سبيل المثال، أسهمت مؤسسة الشارقة للفنون برئاسة الشارقة حور القاسمي في إحياء أعمال حقبة منسية تقريباً من الأعمال السريالية المصرية التي تنتمي لفترة ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي من خلال تنظيم معرض كبير لهذه الأعمال في القاهرة في سبتمبر 2016. وكانت بعض الرسومات في مخازن متحف الفن المصري الحديث لعقود عديدة دون أن يراها أحد.

ولم تقتصر جهود مؤسسة الشارقة للفنون على عرض وتوثيق هذه الأعمال، وإنما أسهمت أيضاً في ترميم قصر الفنون في القاهرة حيث انعقد المعرض وذلك استكمالاً للدعم الذي تقدمه حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة ووزارة الخارجية إلى الدولة المصرية. ونظم هذا المعرض التاريخي في فترة لاحقة في كوريا الجنوبية، وسيتم تنظيمه أيضاً في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وتطّمت مؤسسة بارجيل للفنون - منذ تأسيسها - عدداً من المعارض على الساحتين الإقليمية والدولية في عدة مدن ومنها مدينة الكويت، وعمان، والإسكندرية في مصر. كما قامت أيضاً بتصميم وتنظيم معارض في متحف سنغافورة للفنون ومتحف أما خان في تورونتو (وبلغ إجمالي الزائرين فيهما 60,000 تقريباً) وجاليري وايت تشابل في لندن والذي زاره أكثر من 330,000 زائر. والأهم من ذلك أن مؤسسة بارجيل للفنون نظمت أول معرض من نوعه للفن العربي الحديث في إيران، وذلك في خريف 2016 في متحف طهران للفن الحديث، والذي زاره أكثر من 20,000 زائر. وجاء تنظيم المعرض في وقت كانت هناك فيه توترات إقليمية متنامية بين دول الخليج وإيران. وعُرض في المعرض 40 عملاً فنياً من العالم العربي ومنها أعمال لفنانين من دولة الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والكويت، والمملكة العربية السعودية. ولقّت المعرض أنظار قادة الرأي في إيران ومنهم مفكرون وصحفيون وباحثون، وكانت هناك تغطية صحفية له في صحف الجارديان، والإندبندنت، والفينانشال تايمز علاوة على وسائل الإعلام الإيرانية المحلية.

في عام 2014، تطّمت سفارة دولة الإمارات العربية المتحدة في واشنطن معرضاً فنياً بعنوان «الماضي واستمراره» والذي عُرض فيه 50 عملاً فنياً لـ 25 فناناً من الفنانين الإماراتيين المعاصرين. وانعقد المعرض بالتعاون مع مركز ميريديان الدولي في واشنطن والمتخصص في التبادل الثقافي وبرامج السياسات. ولم يكن الهدف من معرض الماضي واستمراره عرض الفن الإماراتي في المدن كثيفة السكان ومنها واشنطن العاصمة، وشيكاغو، ولوس أنجلوس، وإنما عرضها أيضاً في الأماكن الأقل شهرةً ومنها فورث ورث، وتكساس، ولكسينجتون، وكنتاكي، وسبوكان في ولاية واشنطن. ومن بين الآلاف العديدة التي زارت هذا المعرض، كانت هناك مجموعة خاصة مؤلفة من 1,450 شخصاً من برنامج القيادة للزائرين الدوليين والذي ترعاه الحكومة الأمريكية وتشارك فيه شخصيات رائدة في مجالات عديدة من جميع أنحاء العالم.